

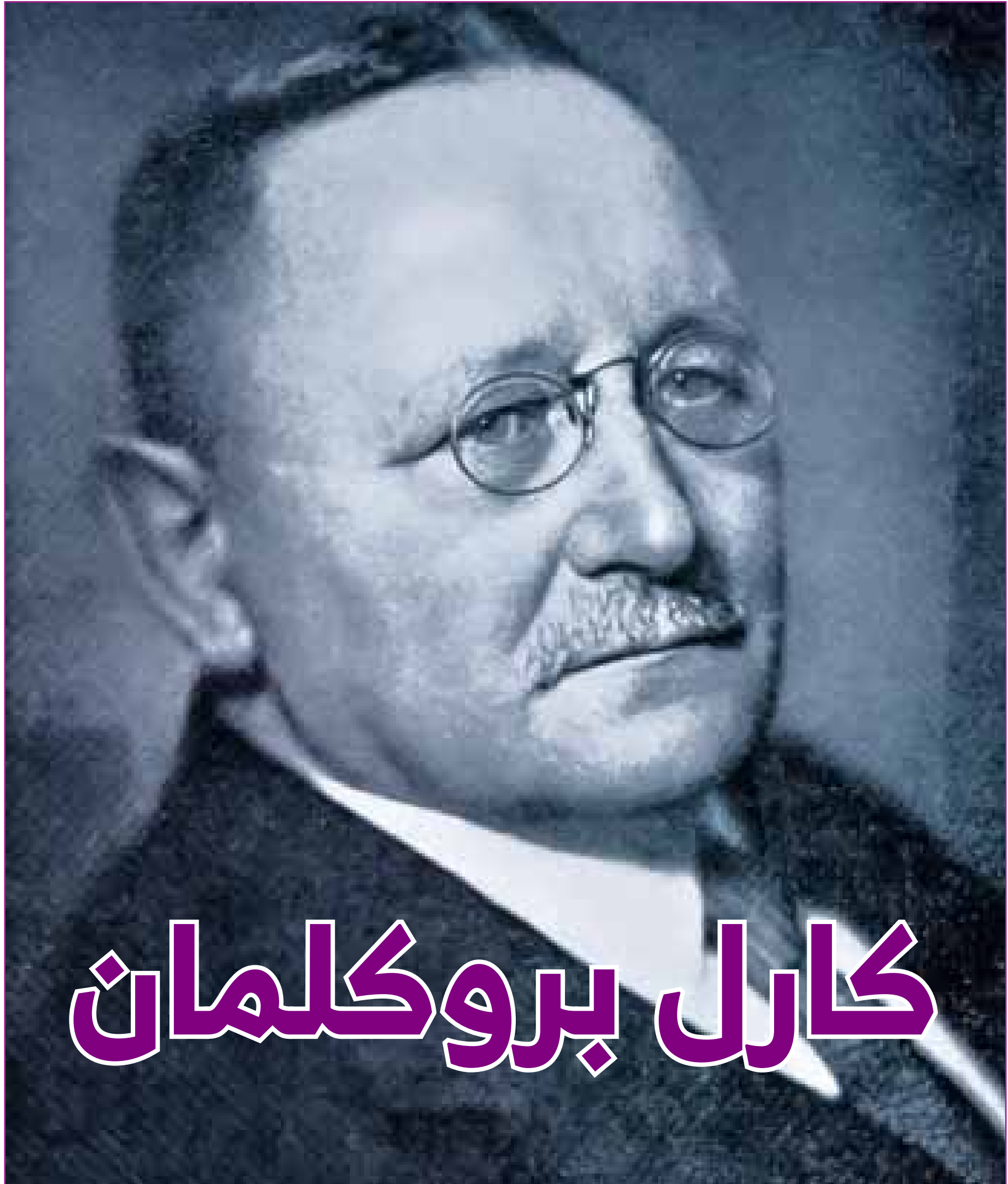


فني ليرج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
www.almadasupplements.com
العدد (5365) السنة العشرون - الاربعاء (8) شباط 2023

منارات
m a n a r a t

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



كارل بروكلمان

المستشرق الألماني كارل بروكلمان وتاريخ الأدب العربي

د. نجيب محمد الجباري

”

لا يجادل أحد في أن اتصال ألمانيا بالشرق كان منذ الحروب الصليبية الأولى، وأنها انشقت بعد ذلك عن الكنيسة الكاثوليكية إثر حركة مارتر لوث، ولكن رغم كل ذلك فإن الدراسات الألمانية المتعلقة بالشرق لم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر الميلادي متأخرة في ذلك عن بقية الدول الأوروبية، وبقي العلماء والباحثون الألمان في منأى عن الدراسات العربية حتى دخول الأتراك في قلب أوروبا التي كانت بصدد الاهتمام بدراسة لغات العالم الإسلامي.

“

ولعل أهم ميزة يمتاز بها الاستشراق الألماني بعده عن خدمة الاستعمار وأهدافه الدينية التبشيرية والإستلاب الحضاري الذي يميز بعض الدراسات الإستشراقية الأخرى، كما هو الحال مع سائر الدول الأوروبية المستعمرة كفرنسا وإنجلترا وهولندا التي كثيراً ما كان يشكل مستشرقوها طلائع الجيوش الإستعمارية، فضلاً عن اتسامه بالعمق والموضوعية والجدية في تناول جهود وأعمال الاستشراق الألماني

سأهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم فرادى وجماعات بمجهودات فردية أو تابعة لمعاهد ومنظمات؛ في نفص الغبار عن عدد هائل من التراث العلمي الذي أنتجته الحضارة العربية الإسلامية والذي كان مغموراً ومطموراً في المكتبات الخاصة والعامة، وفي جمع ونشر وفهرسة المخطوطات وأمهات الكتب والأصول المهمة، وفي وضع المعاجم العربية. وقد وجدت آلاف المخطوطات العربية والإسلامية طريقتها نحو المكتبات والخزانات الألمانية كمكتبة برلين الوطنية التي يوجد بها أكثر من عشرة آلاف كتاب، ومكتبة جامعة جوتنجن جنوب ألمانيا التي يوجد بها ثلاثة آلاف كتاب.

وقد حقق المستشرقون الألمان عدداً لا يستهان به من أمهات التراث العربي، كالكامل للمبرد، وتاريخ الطبري، ومؤلفات الجبروني، وبدائع الزهور لابن إياس، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والفهرست لابن النديم، وعدد كبير من دواوين الشعراء القدامى.

كما ساهمت المدرسة الإستشراقية الألمانية في تأليف الموسوعات التي كان لها تأثير عميق في نهضتنا الحديثة، وتعد مكسباً مهماً خدم ثقافتنا ومد جسور العبور والتواصل الحضاري مع أوروبا المعاصرة مثل دائرة المعارف الإسلامية وغيرها.

أما على المستوى الأدبي فلا يمكن لأي دارس أو باحث في الأدب والنقد العربيين أن يتجاهل أعمال مستشرقين ألمان كبار، وفي طليعتهم كارل بروكلمان صاحب كتاب تاريخ الأدب العربي الذي يعد موسوعة لا غنى عنها لأي باحث في مجال الدراسات الإسلامية.

كارل بروكلمان وتاريخ الأدب العربي

بدأ كارل بروكلمان دراسته للغة العربية وهو مازال



في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية، وأخذ العلم على يد المستشرق الشهير نولدكه. كما اهتم بروكلمان بدراسة التاريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور وهو تاريخ الشعوب الإسلامية، لكن أشهر مؤلفاته كتابه (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة أجزاء، وفيه رصد لما كتب باللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها. ظهر الجزء الأول من الكتاب أواخر القرن ١٩، وقد عمل عليه طوال نصف قرن من الزمن، ونقله إلى العربية بتكليف من جامعة الدول العربية عبد الحليم النجار، ونشرته دار المعارف في مصر. يقول ناشر هذا الجزء في مقدمته: (كان تعريب كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان أملاً يراود كل قارئ بالعربية، حينما يبحث في علوم العرب وأدابهم، أو يحاول سبر جهود العلم العربي ومتابعة خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد وتنمية حضارته، أو يريد حصر ما تشتت وإحصاء ما تفرقت من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن

ومنذ ظهور كتاب بروكلمان أخذت كتب تاريخ الأدب العربي تصدر تبعاً في الشرق والغرب متأثرة بكتابه هذا مقتدية بمنهجه في تناول تاريخ العرب من الزوايا العقلية والعلمية البحثية والأدبية الخاصة.

لقد ألقى بروكلمان نظرة الفاحص الخبير على الأدب العربي في مختلف أزمته وأمكنته وفنونه، منذ نشأته إلى هذا العصر الراهن، ففي جزئه الأول تتبع منحنى تاريخ الأدب والكتب السابقة إلى تناوله، وأهم المصادر لترجم المؤلفين والمؤلفات، والمحاولات الأولى لتاريخ الأدب العربي، وذلك في ثلاثة أبواب وعشرة فصول. أما الجزء الثاني فقد تناول فيه عصر النهضة العربية منذ نحو ٧٥٠م إلى ١٠٠٠م، وذلك في أربعة أبواب تطرق فيها إلى شعراء بغداد والجزيرة العربية والشام وشعراء مصر من العصر العباسي، ثم انتقل إلى دراسة النثر الفني، وعلم العربية ومدارسها في كل من الكوفة والبصرة وبغداد وفارس وبلاد المشرق.

أما في الجزء الثالث فقد تناول في أبوابه الثمانية أولية التاريخ وعلم الحديث وكتب المساند وعلم الفقه والمذاهب الفقهية، معرجاً في جزئه الرابع إلى بحث أثر القرآن في توجيه الأدب وبعث الثقافة وإحياء العلوم، متوقفاً عند القراءات وتفسير القرآن والعقائد والتصوف والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والتنجيم والجغرافيا والطب والعلوم الطبيعية. أما الجزء الخامس فقد خصصه لعصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي من نحو سنة ١٠١٠م إلى ١٢٥٨م، وفيه ثلاثة أبواب اختص كل منها إما بالشعر أو بالنثر الفني والبلاغة أو علم اللغة. وختم بروكلمان تأليفه هذا بالجزء السادس المتعلق بتاريخ الدول والرجال وكتب الأنساب وتواريخ المدن والأمصار وتواريخ الأنبياء منتهياً إلى أدب السمر والنثر.

لم يكتب بروكلمان في أجزاء كتابه الستة بعد أسماء الأدباء من كتاب وشعراء وعلماء وفلاسفة، على طريقة كتب الطبقات ونمط التراجم، أو على منهجية السجلات الإنجليزية أو الأمريكية في أحسن الأحوال، ولا بسرد أسماء المصنفات والمؤلفات العربية في مختلف العلوم والمعارف والأداب؛ بل تناول الحياة العقلية كافة بالوصف والنقد والتحليل، وجعل الصور المتكاملة لحيوات جميع العلوم والفنون وتراجم مشاهير العلماء والأدباء في دراسة مفصلة مقارنة مصحوبة بكل ما وقف عليه من أثار وتوثيق في كل المكتبات والخزانات بالشرق والمغرب، مشفوعة بكل ما علمه من وجوه التأثير المختلفة لهذه الآثار من ثقافة العالم وحضارته، وما بني له من ترجمات وما أثير حوله من بحوث ودراسات.. كل ذلك بنفاذ بصيرة وصواب تقدير وحرص وموازنة وإحاطة شاملة وسعة أفق وقوة ملكة، مكنته من مختلف اللغات والثقافات والفنون، وتخصص عميق بجوانب الثقافة الشرقية على العموم والعربية على الخصوص.

ولم يقتصر نتاج بروكلمان العلمي على إخراج تاريخ الأدب العربي في هذا القالب الموسوعي الذي استوعب حياة طويلة وكاملة وحافلة، بل للرجل قائمة دراسات وأبحاث تعد بالمئات.

على سبيل الختم

وفي أثناء هذه الرحلة الطويلة الحافلة التي أخرج فيها بروكلمان أجزاء كتابه هذا وملاحقه لم يفتأ مخلصاً لعلمه مثابراً على بحثه وحفاظاً على نشاطه يعدل ويصح ويثقف ويغير حتى اجتمع له من ذلك مقدار كبير اقتضاه إعادة طبع الجزء عين الأولين مصححين مهذبين سنتي ١٩٤٣ - ١٩٤٩.

ومهما قيل عن كتاب بروكلمان وعن الأخطاء والزلزلات التي وقع فيها والتي حاول بعض الدارسين العرب أن يتداركها عليه بالتصحيح والتصويب، إلا أنه يبقى لهذا الكتاب فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في جميع مكتبات العالم، لأنه جهد فردي بإمكانات محدودة لم تستطع حتى بعض المؤسسات والهيئات الرسمية وغير الرسمية القيام به آنئذ.

مع مدرسة الإستشراق الألماني

د. أنور محمود زناتي

د

على الرغم من اتصال ألمانيا بالشرق منذ الحروب الصليبية الأولى، وانشقاقها بعد ذلك عن الكنيسة الكاثوليكية إثر حركة «مارتن لوتر»؛ فإن الدراسات الإستشراقية الألمانية لم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر، متأخرة في ذلك عن بقية دول أوروبا، ولم يشارك العلماء الألمان في الدراسات العربية اشتراكاً فعلياً إلا بعد أن توغل الأتراك في قلب أوروبا، التي بدأت تهتم بدراسة لغات العالم الإسلامي.

د

ولعل الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة للاستعمار - كما هي الحال مع فرنسا وإنجلترا وهولندا - أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواه. والاستشراق الألماني يمتاز بالموضوعية والعمق، وساهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم بجمع ونشر وفهرسة المخطوطات العربية، وخصوصاً كتب المراجع والأصول المهمة، ونشر المخطوطات، فإن أهم ما قام به المستشرقون الألمان وضع المعاجم العربية؛ فقد وضع فرايتاج (1788 - 1861) المعجم العربي اللاتيني في أربعة أجزاء، ثم وضع فيشر (1865 - 1949) معجماً للغة العربية الفصحى، وقاموس هانز فير (1909 - 1981م) العربي - الألماني للغة العربية المعاصرة، وقاموس شراكل (1923م) الألماني - العربي، الذي صدر سنة 1974، والقاموس الضخم للغة العربية الفصحى الذي عمل عليه ألمان (1931) في جامعة توبنجن، وفي سنة 1980م كان قد وصل إلى حرف الكاف (ك)، وفي سنة 2000 انتقل العمل على هذا القاموس إلى جامعة ميونيخ، ووصل إلى حرف الميم (م)، وإن العمل على هذا القاموس سيستغرق مائة سنة ونيفاً، على الرغم من الإمكانيات التكنولوجية والمادية المتوفرة، وعلى رغم أن الذي يعمل على هذا القاموس هو فريق عمل؛ ومن حسن الحظ وسوته في أن واحد أن آلاف المخطوطات العربية والإسلامية قد وجدت طريقها نحو المكتبات الألمانية، وربما لو ظلت قابعة في أماكنها لضي عليها، وقد آلت إلى المكتبات الألمانية في الجامعات والبلديات، من خلال الشراء والاستيلاء عليها من الأقطار العربية، لكنها - وبحق - وجدت من يسعى إلى حفظها وتصنيفها وفهرستها والعمل على تحقيقها، وإن نظرة في أعداد هذه المخطوطات لتوضح لنا أهميتها كنخائر تراثية لا تقدر بثمن.

وقد حظيت مكتبة برلين الوطنية بنصيب الأسد من هذه المخطوطات؛ إذ إن عددها يربو على عشرة آلاف مخطوط، فهرست في عشرة مجلدات، وفي مكتبة جامعة جوتنجن - جنوب ألمانيا - نحو ثلاثة آلاف مخطوط من نفائس التراث العربي، والكثير من المخطوطات النخائر، ناهيك عما بها من كل إصدارات العالم العربي والإسلامي من كتب ودوريات منذ اختراع المطبعة، جاوز عمر بعضها المائة عام، واخترقت من المكتبات العربية، وصار الحصول على بعضها ضرباً من المستحيل، كل ذلك محفوظ بمكتبة جامعة توبنجن؛ مما يجعل دورها دوراً ثنائياً في خدمة المخطوط والمطبوع من الفكر العربي، لم يقتصر دور المستشرقين الألمان على حفظ هذه المخطوطات فحسب، بل عمدوا إلى تحقيقها تحقيقاً علمياً



بحضارة الإسلام وفنونه المبدعة، بما فيها من نفائس المخطوطات، والمصاحف، والوثائق النادرة.

مستقبل الإستشراق الألماني:

إن المتتبع لحركة الإستشراق الألماني ربما يعود بها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أن البداية الحقيقية المنظمة ولدت على يد جمعية المستشرقين الألمان (DMG) - وهي في منطف طرق - فجماعة (DAVO) استقطبت الشباب ومن لم يجد دوراً في (DMG) من كبار المستشرقين؛ لأنها قد احتفظت بطابع تقليدي وطقوس جامدة لم يجد فيها الشباب نورهم، ولم يجد فيها ما يصبو إليه؛ فأعضاء الجمعية الكبار وجهوا اهتمامهم إلى علوم الشريعة والفلسفة الإسلامية، والفلك، والنحو، والمعجم، والتحقيق، والشعر والنثر، وهي أمور لم يعد لها من الشباب من يتحمس لها كثيراً، لكن هذا الجيل الجديد لم يهتم كثيراً بعلوم اللغات الشرقية القديمة، وإنما يود أن يقفز عليها؛ معتمداً على مصادر اللغة الألمانية والإنجليزية، وأحياناً بالفرنسية، مغفلاً المصدر العربي حتى لو كان مختلفاً معه.

إضافة إلى ذلك نجد أن المستشرقين الألمان لديهم مناهج يستخدمونها في أبحاثهم الجزئية، لكننا نقفدها مناهج كلياً للإستشراق نفسه، ولقد خدم بعض المستشرقين الكنيسة، ولكن هذا الدور يظل محدوداً لانتشار الاتجاه العلماني، وتحول الكنائس في ألمانيا إلى مزارات سياحية، بل لم يجد أحد القساوسة بدأ من تأجير إحدى الكنائس إلى مخزن للضائع عندما لم يجد مصليين، ولكن هذا لا ينفي وجود بعض المتعصبين ضد الإسلام، وليس بالضرورة أن يكونوا مع المسيحية، ولقد وجد بعض المحايدين أنفسهم في حال حرب ضد الإعلام الغربي الذي يوجه التهم للعرب والمسلمين طيلة الوقت، فساير بعضهم الإعلام، بل تحول واحد منهم مثل «كونسلمان» إلى بوق إعلامي خطير ضد الإسلام، لكن المستشرقين الألمان لا يدعونه واحداً منهم؛ لأنه نشأ إعلامياً وعمل في الحقل الإعلامي.

لكل ما سبق، فإن الإستشراق الألماني يظل بمعزل عن الإستشراقات الأميركية والبريطانية والفرنسية، ويظل له تميزه الواضح حتى لو اختلفنا معه، بيد أن هذا الاختلاف يجعلنا نردّد مع الشاعر الألماني الكبير جوته: «من عرف نفسه أدرك أن الشرق والغرب لا يفترقان»

من خدمات لغة العربية والدراسات الإسلامية. وقد ازدهرت الدراسات الإستشراقية في ألمانيا بفضل إنشاء كرسي عديدة لتعلم العربية في ألمانيا، وازدياد المكتبات الشرقية التي اكتظت بالآلاف من المخطوطات والمؤلفات العربية والشرقية النادرة، وتأسيس الجمعيات الشرقية؛ كالجمعية الشرقية الألمانية، وإنشاء المجالات المتخصصة، منها: مجلة عالم الإسلام، التي أنشأها مارتن هارتمان، ومجلة: إسلاميات، التي أنشأها فيشر، وبرز في هذا المجال «فريدريش روجار» تلميذ المستشرق النمساوي الكبير «جوزيف بورجستاله»، وكذلك «هاينريش بارث».

ونجد أيضاً «أهلفارت» الذي تعلم العربية وأتقنها، وهو الذي وضع فهرس مكتبة برلين عن المخطوطات العربية. ومن كبار المستشرقين «يوليوس فلهوزن»، الذي برز في مجال الدراسات الإسلامية؛ فحقق تاريخ الطبري، وكذلك نجد «تيودور نولدكه» الشهير، و«كارل بروكلمان» صاحب تاريخ الأدب العربي الذي يعد موسوعة لا غنى عنها لأي باحث في مجال الدراسات الإسلامية، كما أشرنا آنفاً، بجانب نورهم انصب اهتمامهم على تعلم اللغة العربية وتعليمها، ولقد كان للمعهد الإستشراقية في الألمانية - قبل الوحدة - وفي الدول الناطقة بالألمانية؛ مثل: النمسا، وسويسرا، وجانب كبير من هولندا، وبلجيكا، ولو كسبب جورج، وغيرهم - دور كبير في نشر اللغة العربية، وقل أن نجد مدينة كبرى في ألمانيا دون أن تزي مركزاً لتعليم اللغة العربية.

وهناك عدداً لا بأس به من المجالات المتخصصة في الآداب العربية والإسلامية، أو في أمور السياسة والاقتصاد بالمنطقة، وربما كان من أهم هذه الدوريات مجلة عالم الإسلام Die welt des Islam، وهي مجلة تعنى بالتراث والحداثة في الإسلام، وفيها مقالات لا غنى للباحث عن الاطلاع عليها، ومن أسف أن ما ينشر فيها لا يترجم إلى العربية.

وهناك مجلة الشرق، وهي مجلة تعنى بالأمور المعاصرة في العالم الإسلامي المعاصر، كما أننا لا نغفل دور المتاحف الإسلامية المنتشرة في ربوع ألمانيا، ومعظمها عبارة عن مجموعات فنية خاصة لهواة جمعوها - ومعظمهم من المستشرقين - خلال رحلاتهم نحو الشرق، وإذا تجاوزنا عرضاً عن كيفية الجمع وما اعترأها من شبهات السرقة، إلا أن فتحها للجمهور مجاناً يعرف المشاهد الأوروبي

ذا فهارس متعددة، واستوجب تحقيقهم وضع مؤلفات تعد عمداً في موضوعاتها؛ كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الذي وضعه المستشرق الألماني فلوجل (1802 - 1870م) [5]، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومعجم شواهد العربية، وناشر كشف الظنون لحاجي خليفة، وكتاب الفهرست لابن النديم، ووضع فهرست المخطوطات العربية الموجودة في فيينا، وهي بحق مؤلفات رائدة يعتمد عليها المحققون العرب، وقد حقق المستشرقون الألمان عدداً كبيراً من أمهات التراث العربي؛ مثل: الكامل للمبرد، وتاريخ الطبري الذي استمر تسعة عشر عاماً من العمل المتواصل، ومؤلفات البيروني، وبدائع الزهور لابن إياس، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والفهرست لابن النديم، ومؤلفات ابن جنّي، وعدداً كبيراً من دواوين الشعراء القدامى، وقد عكف «إيفالد فانجن» على ديوان أبي فراس نحو عشرين عاماً حتى أكمله تحقيقاً.

ولا يمكن لأي دارس في الأدب والنقد العربيين أن يتجاهل أعمال مستشرقين ألمان كبار مثل كارل بروكلمان، وكتابه: تاريخ الأدب العربي، على الرغم مما ورد فيه من بعض الأخطاء التي حاول دارسون عرب أن يتداركوها عليه؛ كما فعل عبد الله بن محمد الحبشي - لكن يبقى لكتاب بروكلمان فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في جميع مكتبات العالم، وهو جهد فردي لم نستطع نحن - للأسف - فرادى وجماعات أن نقوم به، وقد أحسن الدكتور محمود فهمي حجازي وجمع من المهتمين باللغة الألمانية - في ترجمته لهذا الكتاب ترجمة وافية أفادت المتلقي العربي.

كما أن هناك معاجم وضعت في الألمانية؛ مثل معجم هانز فير (العربي - الألماني)، يعد معجماً رائداً، كما يعد كتاب العربية ليوهان فوك من المصادر التي لا يستغنى عنها، وقد تحدث نجيب العقيلي في كتاب: «المستشرقون» عن بعض المستشرقين الألمان، وعن إسهاماتهم الفكرية، كما قام بعض الأساتذة من المستشرقين الألمان البارزين بالتدريس في بعض الجامعات العربية، وخصوصاً في جامعة القاهرة؛ أمثال: ليتمان، وبرجستراشر، وشاده، وشاخست، كما أن أول مدير للمكتبة الخديوية في القاهرة كان المستشرق الألماني شبتيرن، وعن بعض المستشرقين الألمان أعضاء في مجامع اللغة العربية؛ تقديراً لما قدموه

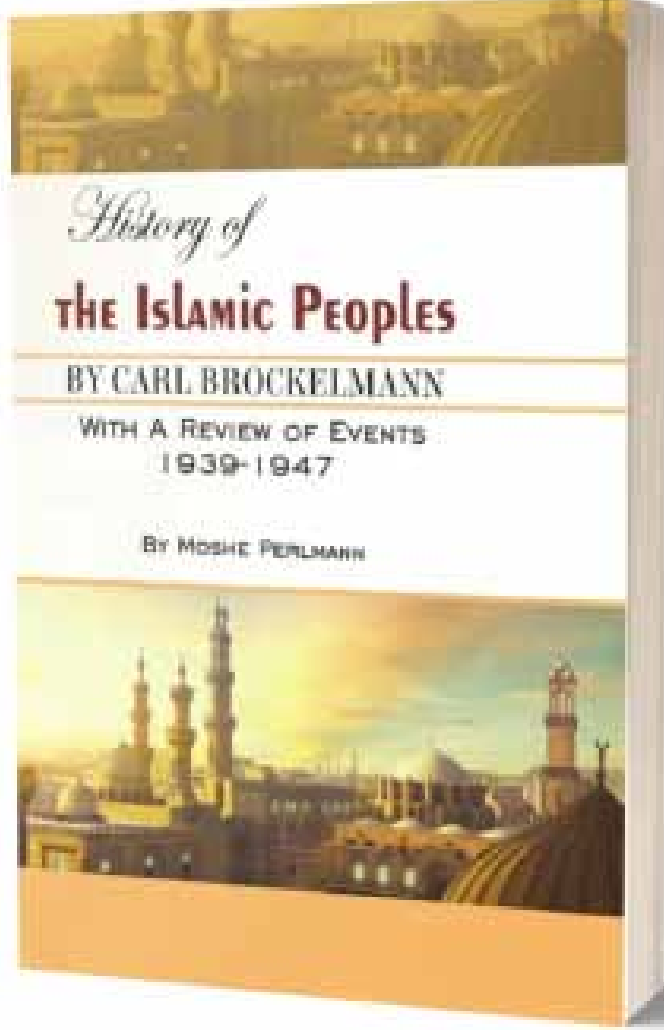
تاريخ الإسلام وحضارته في مؤلفات بروكلمان

فاطمة حافظ

”

ارتبطت نشأة الاستشراق وتطوره بظاهرتين كانت لهما أبعاد الأثر في تحديد أولوياته وأجندته البحثية، الأولى ظاهرة التبشير بالديانة المسيحية في الديار الإسلامية؛ وهي المهمة التي تطلبت إدراكا لطبيعة الدين الإسلامي ومحاولة البحث عن الثغرات التي يمكن من خلالها توجيه الانتقادات إليه، وثانيهما الظاهرة الإمبريالية التي جعلت من فهم ثقافة الشعوب المحتلة ضرورة ملحة، وعلى مدار قرون خضع الاستشراق لمقتضيات هاتين الظاهرتين، غير أنه منذ انتصاف القرن التاسع عشر تقريبا أخذت الصفة العلمية للاستشراق في البروز أكثر من ذي قبل، وبدأت النية متجهة لفهم الموضوعات الإسلامية فهما موضوعيا، وحدث ذلك التطور على يد المدرسة الألمانية الاستشراقية؛ ومرد ذلك أن ألمانيا لم يكن لها سوى مستعمرات محدودة في شرق أفريقيا سرعان ما صفيت بعد الحرب العالمية الأولى، ومع ضعف الحافظ الإمبريالي ظهر في ألمانيا مستشرقين اتسموا ببعض الحيدة أمثال نولدكه وفولوجل وبروكلمان ممن قدموا خدمات جليلة للثقافة الإسلامية، وفيما يلي نقدم تعريفا بجهود كارل بروكلمان (1868-1956) في التأريخ للإسلام والثقافة العربية.

“



عليه، وميله إلى الترتيب الذي يمكنه من السيطرة على مادة علمية هائلة دونها في عشرات الآلاف من البطاقات البحثية التي صنفها بعناية، وأخيرا القدرة على التعبير عن أفكاره بدقة في يسر وسلاسة بحيث استطاع غالبا الدفع بالمسودة الأولى إلى المطبعة دونما تدقيق أو مراجعة.

وهذا الإنتاج العلمي الغزير والمتنوع يمكن تصنيفه ضمن إطارين؛ الأول فقه اللغة ومن مؤلفاته في ذلك: (مفردات التركية الوسيطة حسب ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري)، و(الأساس في نحو اللغات السامية المقارن) وهو من أشهر كتاباته وفيه فسر المادة اللغوية السامية باستخدام مناهج التأريخ اللغوي بعد ترتيبها ترتيبا واضحا، و(العربية: دراسات في اللغة واللهجات والإساليب). والثاني التأريخ للإسلام وحضارته، وفي هذا المجال يبرز كتابيه تاريخ الأدب العرب، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وهما أشهر مصنفاته وأكثرها أهمية ولا يزالان حتى يومنا هذا مقصد الدارسين للتأريخ الإسلامي والأدب العربي. تاريخ الأدب العربي ظهر هذا المؤلف الضخم للمرة الأولى في مجلدين بين عامي 1898 و 1902 ثم استكمل بذيل من ثلاثة مجلدات في السنوات ما بين 1937 و 1942. والكتاب في مجموعته ليس تاريخا للأدب العربي بالمعنى الضيق للكلمة، بل هو سجل للمصنفات العربية كلها سواء المخطوط منها والمطبوع، مضافا إليها معلومات عن حياة مؤلفيها، ومادة الكتاب مرتبة زمنيا إلى أربعة أجزاء. الأول: يدرس الأدب العربي منذ نشأته إلى العصر الأموي. الثاني: ويبحث في الأدب الإسلامي العربي في العصر الكلاسيكي منذ العصر الأموي إلى الغزو المغولي عام 1258. الثالث: ويخص بدراسة

مركز جمعية المستشرقين الألمان ثم انتقل إلى برلين حيث تعين في معهد الاستشراق التابع لجامعة برلين، وظل ينتقل بين الجامعات الألمانية إلى أن تقاعد عام 1945 وبعدها اضطر للعمل بجمعية المستشرقين الألمان؛ وإليه يعود الفضل في الحفاظ على مكتبته الضخمة من الضياع في أعقاب انتهاء الحرب إذ كان يشرف بنفسه على نقل الكتب إلى المخازن المخصصة لها رغم تقدمه في السن، واختتم حياته بالعمل كاستاذ في هاله حتى وفاته عام 1956.

وكان لبروكلمان نشاطات علمية أكثر من أن تحصى فقد انتخب عضوا في عدد من كثير من جمعيات الاستشراق في ألمانيا وخارجها، فقد شارك بصفة منتظمة منذ أوائل القرن في مؤتمرات المستشرقين الدولية، وزار معظم البلدان العربية والشرقية ليجمع مادة علمية لمؤلفاته، ونال عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق، وبفعل هذه المشاركات تركزت مكانته العلمية كأحد المختصين البارزين بالعلوم الشرقية، ومنح عام 1951 جائزة الدولة الألمانية تقديرا لجهوده العلمية. جهوده في التأريخ للإسلام والأدب العربية حقق بروكلمان أثناء اشتغاله بالبحث العلمي نتائج أو بالأحرى انتصارات باهرة قل أن يحققها دارس، فقد أفلح في تعلم عشرون لغة شرقية منها العربية والفارسية والتركية ولا نكاد نعلم من بين المستشرقين من استطاع أن يحصل تلك المعرفة باللغات الشرقية، وانعكس هذا على قائمة مؤلفاته التي امتدت لتشمل خمسمائة وخمسون مؤلفا متعددة اللغات، وثمة عوامل عديدة أسهمت في تحقيقه هذا الإنجاز الضخم ومنها: عزيمته وقدرته التي لا تبارى على العمل دون نصب، وذاكرته القوية التي تكاد تحتفظ بكل شيء منذ المرة الأولى لاطلاعها

تدهور الأدب العربي بعد الغزو المغولي مروراً بالفتح العثماني للمنطقة العربية وانتهاء بالهجوم الإمبريالي الغربي مع الغزو النابليوني للديار الإسلامية. الرابع: ويشتمل على دراسة الأدب العربي الحديث منذ القرن التاسع عشر، ويعقب هذا الجزء حوالي ستمائة صفحة تضم عناوين المؤلفات العربية وأسماء مؤلفيها، وهو من أهم أقسام الكتاب على الإطلاق لأن بروكلمان لم يكتف بالإشارة المقتضبة لأسماء المؤلفين وإنما بسط محتويات كثير من الكتب، وأشار إلى النماذج الأدبية المناظرة، وعلق على أساليب المؤلفين ولغاتهم.

نهض بروكلمان بعبء تدوين المصنفات العربية بمفرده وهو العمل الذي تقصر عنه همة فريق من الرجال، لذا كان طبيعيا ألا يحيط بكامل التراث العربي سيما وتسقط منها بعض المؤلفات سيما وأنها المحاولة الأولى لفهرسته وتصنيفه، وألا تخلو مادته العلمية من الهنات بل والقصور في بعض المواضيع، غير أن "مثل هذا العمل الضخم ما كان ليخرج إلى الوجود إذا تحرى صاحبه طريقة العمل الدقيقة البالغة الدقة" كما يعتقد رودي بارت بحق، ولعل هذا ما جعل الكتاب عرضة للنقد الشديد من قبل كريستيان زايبولد الذي حمل على بروكلمان وانتقد طريقته في إخراج الكتاب، ونظرا لقصور الكتاب فقد ظل دوما بحاجة إلى الاستكمال وممن نهض بعبء هذه المهمة الثقيلة الباحث التركي فؤاد سزكين الذي اكتشف آلاف المخطوطات ووضعها في مجلدين تمت إضافتهما للكتاب بوصفهما ملحقين له. تاريخ الشعوب الإسلامية اشتغال بروكلمان الواسع بالأدب العربي قاده منذ وقت مبكر إلى الاهتمام بالخلفية السياسية والحضارية لهذا الأدب، الأمر الذي دفعه بالضرورة صوب العلوم الإسلامية، ومن ثم تطلع منذ عام 1895 إلى الإطلاع على تاريخ الشرق، وكتب في ذلك عدة مقالات وبحوث نشرت قبيل ظهور الكتاب للمرة الأولى عام 1939، وقد ذاع صيته وترجم بعد انتهاء الحرب العالمية إلى عدة لغات كالعربية والتركية والانجليزية والهولندية. يبحث الكتاب الذي يقع في خمس مجلدات في تاريخ الإسلام خلال ثلاثة عشر قرنا، ومن الواضح أن بروكلمان كان يدرك عظم المهمة لذا استلهه بالتأكيد على أن محاولة التأريخ للإسلام ودوله وشعوبه هو مخاطرة كبرى لكنه يقدم عليها مستعينا بالجهد من محاولات زملائه السابقين. اتبع بروكلمان في كتابه ذات النحيق المتبع في (تاريخ الأدب العربي) فالجزء الأول يدرس أوضاع الجزيرة العربية ما قبل الإسلام ثم يصف حياة الرسول ويشرح تعاليمه - وهذا الجزء أكثر أجزاء الكتاب عرضة للانتقاد- ثم يختتم بالعصر الأموي، والجزء الثاني يعالج الإمبراطورية الإسلامية في عهد العباسيين منذ قيامها وحتى سقوطها على يد المغول، ويختص الجزء الثالث بدراسة الدولة العثمانية حتى القرن الثامن عشر، ويدرس الجزآن الأخيران موقف الإسلام في القرن التاسع عشر ثم الأوضاع في الشرق الأقصى والأدنى وشمال أفريقيا حتى الحرب العالمية، وفي ثانيا هذا العرض التاريخي يقدم لنا بروكلمان تأريخا للنشاط الديني والأدبي والعلمي ويستعرض تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية الأمر الذي يجعل من الكتاب موسوعة تاريخية شاملة.

وعلى الرغم من الترحاب الكبير الذي قوبل به الكتاب في العالم الغربي إلا أنه لم يقابل بترحاب مماثل في العالم الإسلامي حيث وجهت إليه انتقادات عديدة؛ بعضها انتقادات منهجية تتعلق بإغفال نكر المصادر وبعضها الآخر يدور حول موقفه المسبق من السيرة النبوية الذي دفعه للتشكيك في عالمية الرسالة الإسلامية والزعم أنها كانت موجهة للعرب وحدهم، ومتابعة جولد تسيهر في القول بتأثر العقائد الإسلامية باليهودية، والإنحراف في تأويل بعض الممارسات الإسلامية كالجهاد وغيره، ورغم هذه الانتقادات فإننا نعتقد أن أعمال بروكلمان قد سدت فراغا في المكتبة الإسلامية، وقدمت للدارسين مادة علمية لا يمكن التقليل من أهميتها في دراسة الإسلام وتاريخه وحضارته.

بروكلمان والأدب الإسلامي

د. حسن الأمrani

د

في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، قام الغرب يتمطى، ويلقي بصره من وراء جبال الأورال، ليبصر العماق الشرقية منتصباً جباراً، ومنذ ذلك التاريخ، تراوحت العلاقات الشرقية - الغربية ما بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، وبالرغم من تعدد المشارق، إلا أن المشرق الإسلامي كان أشد المشارق حضوراً عند الغربيين عامة، وداخل المؤسسة الاستشراقية خاصة.

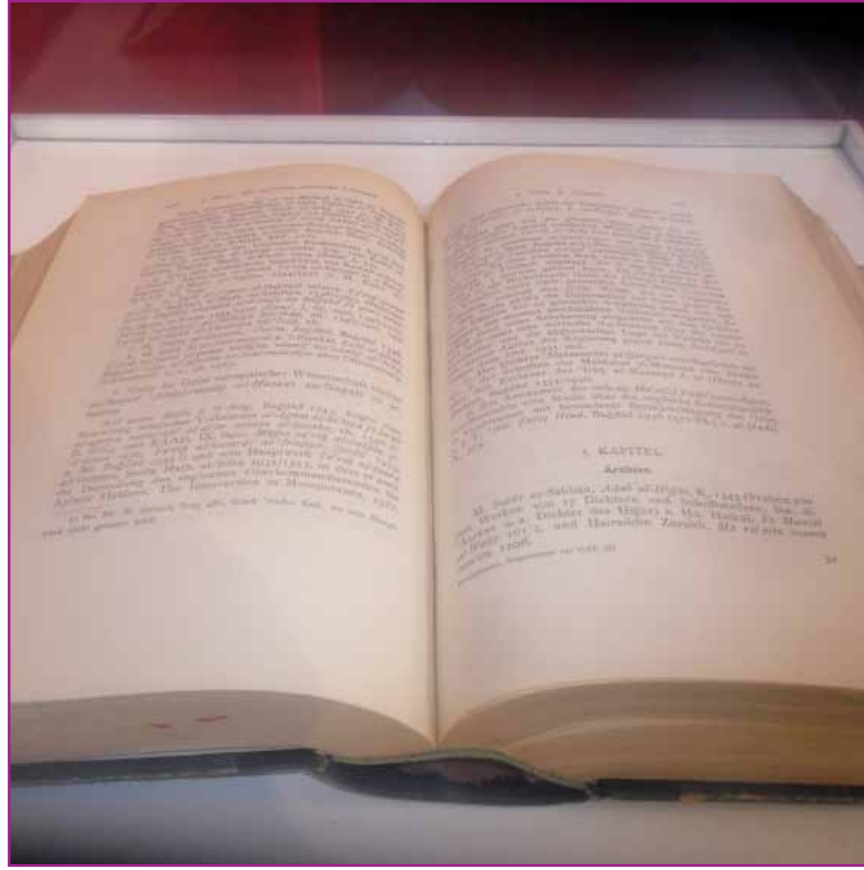
د

وقد تنازعت الاستشراق منذ ذلك التاريخ رؤيتان متباينتان: إحداهما الرؤية الكبلنجية، التي ترسخ المركزية الأوروبية، وتقيس النمو الحضاري للأمم والشعوب إلى المرجعية الغربية وحدها، والأخرى تؤمن بالحوار الحضاري سبيلاً إلى تأسيس حضارة كونية. ويبدو أن هذا التنازع لم يكن متكافئاً بحيث ظلت الرؤية الأولى مهيمنة على الحقل الاستشراقي هيمنة دفعت بعض المستشرقين إلى التصريح بأن الغرب لن يمتلك ذاته وجوهره إلا بتدمير آليات الاستشراق التقليدي.

وقد ألقى هذا التنازع بظله على الشرقيين، فوقفوا من الاستشراق ومؤسساته مواقف متباينة، تتراوح ما بين الدفاع والهجوم، إذ رأى بعضهم الاستشراق خيراً كله، ورأه بعضهم شراً كله، وحاول بعضهم أن يسد ويقارب موقع بروكلمان من المؤسسة الاستشراقية: يصنف كارل بروكلمان عادة ضمن الزمرة المعتدلة من المستشرقين، وذلك بسبب أن المجال المعرفي الذي شغل هذا المستشرق كان - في معظمه - مجالاً يفرض نوعاً من الموضوعية لاعتماده الوصف والإحصاء، أكثر من اعتماد النقد والتحليل مما يغيب البعد الإيديولوجي، أو يخفف من علو آرائه، على أقل تقدير. فقد اشتغل هذا المستشرق بالدراسات اللغوية خاصة، فألف في النحو المقارن للغات السامية، وفتح اللغات السامية وحين انتقل إلى التأليف في الأدب العربي، كان كتابه (تاريخ الأدب العربي) عملاً ببليوغرافياً في أساسه، مما لا يخرج من دائرة الوصف والإحصاء وما وقع فيه بروكلمان من أخطاء في هذا الكتاب يعده بعضهم مما يقع لأي باحث، ولا دخل فيه للهوى وسوء النية.

من تاريخ النقد الأدبي: هناك ملاحظتان ينبغي تسجيلهما ونحن نتناول كتاب بروكلمان (تاريخ الأدب العربي). الملاحظة الأولى: أن هذا الكتاب ليس عملاً فكرياً خالصاً بل هو يتضمن من الأحكام ما يكشف عن نوق المؤلف الأدبي من جهة، وميوله ونزعاته المذهبية من جهة أخرى.

الملاحظة الثانية: أن هذا الكتاب يتداخل فيه تاريخ الأدب - النقد الأدبي - فهناك الأدب في مجاله النظري، ويهتم بالحديث عن مبادئ الأدب ومقاييسه وقوانينه، وهناك الأدب في مجاله التطبيقي، ويهتم بدراسة النصوص الأدبية، إما في فترة زمنية معينة، وإما بتتبع تلك النصوص في مراحلها التاريخية المختلفة. ويدخل تحت هذا المجال (النقد الأدبي) وهو سكنوني في معالجته، و (تاريخ الأدب) وهو حركي في المعالجة وإذا كان من الصعب فصل التاريخ الأدبي عن النظرية والنقد، بحكم أن التاريخ الأدبي يعالج الوقائع القابلة للتحقق من صحتها، وأن النقد الأدبي يعالج مسائل الرأي والإيمان، فإن كتاب بروكلمان يقوم دليلاً على هذه الصعوبة، إذ إن



الكتاب، وإن كان يدخل ضمن دائرة التاريخ الأدبي، إلا أنه مليء بالنظرات والأحكام النقدية، فهو، وإن كان من جانب يقدم لنا رصداً صالحاً من المعارف المتصلة بالأدب، إلا أنه يقدم من جانب آخر رؤية خاصة لتلك الأدب، وهذه الرؤية الخاصة هي التي جعلت بروكلمان يوفق إلى تقديم تقسيم جديد ومنتزح لعصور الأدب يخالف به سابقه ومعاصريه من العرب والمستشرقين على السواء، فقد قسم الأدب العربي إلى مرحلتين:

أ - أدب الأمة العربية، من أوليته إلى سقوط الأمويين.
ب - الأدب الإسلامي باللغة العربية.
فما الذي يميز الأدب الإسلامي عن غيره؟ وما الذي سوغ لبروكلمان أن يجعل العصر العباسي منطلقاً للأدب الإسلامي؟ وهل استطاع تجاوز المعيار الزمني في تقسيمه، أم أنه اكتفى بإعادة صياغته؟ ما الأدب الإسلامي؟

قبل خمسين عاماً، لم يكن مصطلح (الأدب الإسلامي) يثير ما يثير اليوم من تساؤلات، فقد كان المعيار الزمني سبباً في صرف الدارسين عن تحديد طبيعة الأدب الإسلامي، ورصد خصائصه ومميزاته، ولم يكن يفهم من (الأدب الإسلامي) غير ذلك الأدب الذي تلا العصر الجاهلي، فجعله بعضهم وقفاً على عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وامتد به بعضهم ليشمل عصر بني أمية.

ولم تبرز ضرورة إعادة النظر في المصطلح إلا مع فئة من الدارسين الذين مزجوا بين الدعوة والتدقيق الأدبي، من أمثال أبي الحسن الندوي، وسيد قطب، ومحمد قطب ومن سار على نهجهم كعماد الدين الخليل وجيب الكيلاني ومحمد حسن بريغش.

لقد قدم هؤلاء مفهوماً جديداً للأدب الإسلامي، يكسر عنه طوق الزمن، ويجعله أدب فكرة لا أدب فترة، أدباً له خصائصه الثابتة في إطار التغيير، ومقوماته الأصيلة في إطار التطور، فهو التعبير الجميل بالكلمات عن الكون والحياة والإنسان، انطلاقاً من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان. هذا المفهوم لم يكن مما انتهت إليه الدراسات والبحوث الأكاديمية المعروفة، بقي، من أجل ذلك، المعيار الزمني سيفاً ملتصقاً يميز الأدب الإسلامي عن غيره، وكان

عن الهوى، يدرك جيداً أصول المديح التكسيبي عند العرب، ويعرف طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين المادح والمدح، كما يعرف جيداً أمر الأعشى الذي قال عنه ابن سلام: (وكان أول من سأل بشعره) (وقال عنه ابن رشيق أنه جعل الشعر متجراً) وقد جعل القدماء ذلك سبباً من أسباب تدني مكانة الشاعر عن الخطيب في الجاهلية. على أن بروكلمان يعقد الفصل الثالث من الباب الثاني، للبيد والأعشى، فيقول عن الأول:

(ولما طار ذكر لبيد في الشعر بقي وفيه بقومه، وازدرى مهنة الشاعر المتجول بالمديح، في طلب الجوائز والصلوات).

فليبد إذن لا يمكن أن يتجانف عن نهج إلا إذا كان مطروقا. ويقول عن الأعشى:

(أما القصيدة الدالية المنسوبة إليه في مدح محمد (صلى الله عليه وسلم) فلم تعد أن تكون مزاولاً للتكسب بالشعر، ولا يحتمل أن تكون لها علاقة بعقيدته).

فكيف يمكن أن تكون مزاولاً للتكسب بالشعر، وهي - إن صحت آخر شعره؟

وبروكلمان نفسه يقول بعد ذلك مباشرة:

(وكان الأعشى يجول بشعره في بلاد العرب من حضرموت إلى الصيرة، يكرمه الناس ويغمرونه بالصلوات والهدايا إذا مدحهم، ويخشون حاله ويرهبون لسانه لإقذاعه في الهجاء).

فهذا نفسه - مما أنكره بروكلمان قبل - هو ما عبر عنه ابن رشيق حين قال عن الأعشى:

إنه (جعل الشعر متجراً).

وحين تحدث بروكلمان عن لبيد، قال عنه إنه (قدير على صياغة موضوعات البداوة صياغة ساحرة، ومما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نغمات دينية) فالنغمات الدينية إذن مما يزيد الشعر نفاسة.

وقد كانت حجة بروكلمان، للرد على من قال: إن لبيداً لم يقل شعراً في الإسلام، أن (كثيراً من شعره مطبوع بطابع الوحي) فكيف يكون شعره مطبوعاً بطابع الوحي، ثم يقال إن أثر الإسلام فيه كان ضعيفاً؟ إلا أن يكون مرد هذا الحكم رأي أبي عمرو بن العلاء، وليس نوق بروكلمان الأدبي.

كان اعتذار بعض الدارسين عن ضعف أثر الإسلام في الشعراء الحديثي العهد بالإسلام، أنه كان لا بد من فترة زمنية كافية، يتمكن فيها الإسلام من نفوسهم، وتنتشر به أرواحهم، وتخالط بشائسته قلوبهم، ليصبح بعد ذلك منبعا لإبداعهم ولذلك فإن صياغة هذا الشعر الذي دار حول النهضة الإسلامية (كانت على العموم صياغة جاهلية لم يستطع العقد الحديث بحواذئه العظيمة أن يغير منها، لأنها ثمرة ملكات عقيدة تم نضجها من قبل، ولأن تغير ملكات الشعر ومواهبه يسير ببطء، بل يتم على يد جيل جديد.

وعلى هذا، لم يكن من المنتظر أن يظهر أدب إسلامي خالص مع ظهور الإسلام، لا في عهد النبوة، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا سيما إذا عرفنا أن معظم شعراء الرسول، صلى الله عليه وسلم، سلخوا أشطرا من أعمارهم في الجاهلية، فكان لا بد من انتظار أجيال جديدة، لا صلة لها بالجاهلية لتشهد ميلاد أدب إسلامي، جدير بهذا الاسم، ومن هنا يكون إطلاق مصطلح (الأدب الإسلامي) على أدب صدر الإسلام، فيه كثير من التسامح، وبالرغم من أن هذا الرأي بحاجة إلى كثير من الفحص، لتعارضه مع كثير من نصوص تلك الفترة، إلا أنه منسجم، إلى حد ما، مع رأي بروكلمان الذي ذهب إلى أن روح الإسلام لم تسد حقاً إلا بعد ظهور العباسيين، وقد اعتمد بروكلمان، فيما ذهب إليه، معيارين اثنين:

فأما المعيار الأول، فمرتكزه أن المجتمع الإسلامي، إلى نهاية العصر الأموي، ظل مجتمعاً خالصاً، ولئن كان العرب قبل الإسلام، على الرغم من تشتتهم السياسي في الظاهر، ربطت بينهم وحدة معينة في أفكار الديانة والعبادات وجعلت منهم أمة واحدة فإن هذه الوحدة ظلت قائمة في العصر الأموي بحكم كون (سلطان الدولة الأموية سلطاناً عربياً أصيلاً، متجاوباً تماماً مع نزعات الأمة العربية، موافقاً لطابعها الشعبي إلى حد معلوم) ومن هنا ظل قالب القصيدة العربية في العصر الأموي قالباً جاهلياً، إلى أن (صار طرازاً قديماً بالياً في أواخر عهد الدولة الأموية، فلم يقو على مسابرة العصر).

الإستشراق الألماني.. كارل بروكلمان نموذجاً

عبد الحميد صبحي ناصف

»

منذ منتصف القرن ال 19 الذي كان ميداناً لفرسان الاستشراق الألمان وأشهرهم فرايتاغ الدارس على يد سلفستر دي ساسي ويلييه كوسغارتن وويكي وسليمان منك وغوستاف فلوجل وفلايشر،

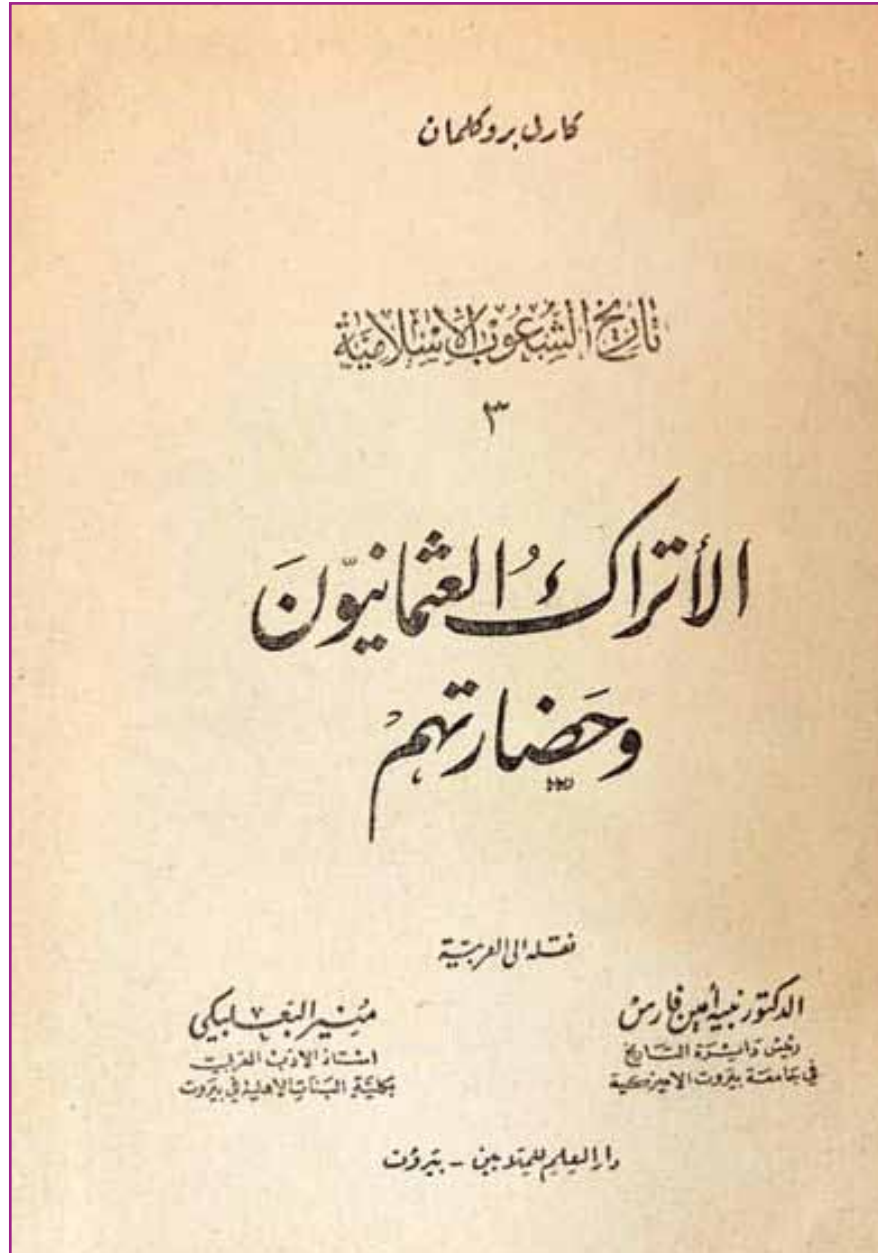
»

الذي كان يكتب أدياء من سورية ومصر وينشر لهم في المجلة الشرقية الألمانية، كما كان هناك كل من ديتريش وغوستاف فايل وفون كريم وفريديناند وستنفيلد وغلارز. وبين منتصف القرن ال 18 ومنتصف القرن ال 19 ظهر الإستشراق الألماني والأوروبي بعامة مستندا إلى مبادئ «التاريخانية»، وموارثها لينصرف إلى نشر المصادر العربية والإسلامية، وليعرض من خلالها معارف جديدة عن عالم الشرق والإسلام والعرب، كما أن ادوارد سعيد لم يهاجم الإستشراق الألماني، والطريف أن السبب الذي من أجله أعرض سعيد عن محاولة نقض الإستشراق الألماني تاريخي وليس منهجيا، فقد ذهب إلى أن الألمان المستشرقين ما كانوا فاعلين أقوياء في «المؤسسة»، فضلا عن أن المؤسسة ما كانت رئيسة في الحركة الإستعمارية في العالمين العربي والإسلامي... وعلى غير المتعارف عليه يفاجئنا الدكتور رضوان السيد برأي مغاير فيه «إن كلا الأمرين غير صحيحين وغير دقيقين، فالألمان كانوا يملكون «رغبات» إستعمارية شريفة ومعلنة، لكنها ما صارت فاعلة إلا بعد الوحدة الألمانية عام 1870. ففي الوقت الذي اندفعوا فيه لإيجاد مجال حيوي في أوروبا اتجهوا صوب إفريقيا لانتزاع بعض الأقاليم، ثم صوب آسيا العثمانية لإقامة علاقة «استراتيجية» مع «الرجل المريض» في مواجهة الروس والبريطانيين والفرنسيين على حد سواء. ومنذ السنوات الأولى لاستراتيجيةهم العثمانية استعانوا بالمستشرقين وعلماء الدراسات العربية والإسلامية (راجع: رضوان السيد في «المستشرقون الألمان»، ص 7).

تميزت المدرسة الإستشراقية الألمانية التي بدأت في القرن الثامن عشر بيوهان جاكوب راييسكة (1716-1774)، بخصائص منها:

إنها لم تكن نتيجة لأهداف سياسية وإستعمارية. ولم تكن وثيقة الصلة بالأهداف الدينية التبشيرية كدول أخرى مثل فرنسا وإنكلترا وإيطاليا. وغلبة الروح العلمية وتقصى الحقائق على الدراسات الشرقية في ألمانيا، فهي تمتاز بالعمق والشمولية. ما يبرزها عن غيرها من المدارس الإستشراقية الأخرى هو الاهتمام بالقديم والتركيز على دراسة التراث العربي وخدمة التراث. بدأ الاهتمام باللغات الشرقية مرتبطا بعلم اللاهوت. وكانت اللغة العربية هي أساس هذه الدراسات ثم ما لبثت اللغة العربية والإسلام أن لقيتا الاهتمام في أعقاب القرون الوسطى والدخول في عصور النهضة. ولعل أبرز ما قام به المستشرقون الألمان في مجال اللغة والتاريخ العربيين والدراسات الإسلامية هو أنهم جمعوا ونشروا وفهرسوا المخطوطات العربية والنصوص القديمة (رضوان السيد، «المستشرقون الألمان»، ص 11-17).

ومن هنا ندلف إلى شخصية دراستنا الذي فاقت شهرته مجال نشر فهارس الكتب والمخطوطات والنصوص العربية. صاحب الكتاب الموسوعي «تاريخ الأدب العربي» هو كارل بروكلمان الذي كان عضو شرف في جمعية



ألمانيا وكلفه بالإشراف على طبع الأجزاء الملحقه من كتاب «تاريخ الأدب العربي». وفي 14 سبتمبر 1947 بعد أن بلغ ال 79 كتب سيرته الذاتية التي أنهى منها بعد ساعات عدة معتمداً على ذاكرته فقط. وظلت هذه السيرة محفوظة لدى زوجته الثانية، واطلع زهايم عام 1958 عليها، وتنازلت له الزوجة عنها، وعندها قرر تلميذه أن ينشر تلك المذكرات (ترجمها بتصرف كامل عياد ونشرها في مجلة مجمع دمشق 1985).

ولد بروكلمان في 17 سبتمبر 1868 في مدينة روستوك لعائلة ميسورة من طبقة التجار وظهرت موهبته للغات بسرعة في مراحل التعليم مما أثار حماسه لدراسة الألمانية السفلى، ومع مقدار حبه لوطنه كان يتمتع بحب غريب للأطوار البعيدة، وتعرف في المدرسة أيضاً على لغة الكتاب المقدس الآرامية والسريانية، وحين التحق بجامعة روستوك عام 1886 قرر أن يدرس التركية التي كان تدرسيها لا يزال نادراً في ألمانيا. في عام 1888 مضى نحو ستراسبورغ، وراح يدرس السنسكريتية والأرمينية وجذبته كذلك دراسة الحضارة المصرية القديمة. في شتاء 1889 وضع نولدة مسابقة لدراسة العلاقة بين كتابي «الكامل» لابن الأثير و«أخبار الرسل والملوك» للطبري، واستطاع أن يحل هذه المسألة وينال في التاسع من أبريل عام 1890 درجة الدكتوراه في الفلسفة... وإلى جانب ذلك واصل دراساته العربية ونشر عام 1891 الترجمة الألمانية للجزء الأول من ديوان لبيد ثم أصدر الجزء الثاني من الديوان بالمتن والترجمة، وفي نهاية 1892 ذهب إلى بريسلو ومنها حصل على درجة الكفاءة

للتدريس الجامعي في 1893 بدراسة عن مؤلف ابن الجوزي التاريخي.

وفي هذه الأثناء كان بروكلمان قد جمع مادة لأول مؤلف كبير له وهو المعجم السرياني، وقبل أن يطبع هذا المعجم في فبراير 1895 طلب إدوارد زخاو من بروكلمان أن يساهم في العمل على مؤلف ابن سعد الضخم المعنون ب «الطبقات الكبرى»، على أن يسافر إلى لندن وإسطنبول لدراسة المخطوطات المتعلقة بذلك، فسافر في غشت إلى لندن ومنها انتقل إلى باريس ومرسيليا وأثينا وأزمير وإسطنبول، ولم يقف عند تنفيذ ما كلف به فحسب وإنما نقل نسخة من «عيون الأخبار» لابن قتيبة وأخذها معه، واهتمت أكاديمية برلين بطباعة مؤلف ابن سعد وظهر المجلد ال 8 الذي اشتغل عليه بروكلمان. ومن أهم أعماله الأخرى «تاريخ الأدب العربي» الذي جاءت قصته عندما كان في صدد إصدار نسخته «عيون الأخبار».

وفي عام 1897 اصدر النصف الأول من المجلد الأول. وفي عام 1898 تلاه النصف الثاني وفي 1901 أصدر المجلد الثاني. وفي الحقيقة، فإن ما مكن بروكلمان من القيام بهذا المشروع وتنفيذه هو ذاكرته الممتازة، تضاف إلى ذلك قدرته على التنظيم والتنسيق، كذلك براعته وموهبته في التعبير عن أفكاره بعبارات سلسلة من دون عناء، بحيث كانت المسودة التي يخطها تصلح في الغالب للطبع مباشرة. وفي رأي السيد، كان كارل بروكلمان بدأ مشروعاً كبيراً قبل الحرب العظمى الثانية لكتابة «تاريخ الأدب العربي»، هو في الحقيقة تاريخاً للثقافة العربية الإسلامية من خلال مخطوطاتها العربية الباقية. صدر الكتاب خلال 40 عاماً انتهت مع مطلع الخمسينيات من القرن الماضي وتضمن ثلاثة مجلدات، تلتها ثلاثة مجلدات ضخمة أخرى في صورة ملاحق وتصحيحات. وفي الحقيقة كان بروكلمان كأستاذيه فيشر ونولدة مصراً على تمثيل الدراسات السامية والعربية، ولذلك ألف في نحو اللغات السامية وفقهاها، كما ألف في النحو العربي وترجمه إلى العربية رمضان عبد التواب. أما كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية» لبروكلمان وهو كتاب مدرسي متواضع، فقد ترجمه منير بعلبكي عن الإنكليزية في الخمسينيات وطبع في بيروت. يذكر أن هذا الكتاب طبع للمرة الأولى عام 1929.

هذا وقد طبع «تاريخ الأدب العربي» بصيغة مختصرة عام 1909، وقد أوحى إليه بإصدار «تاريخ الأدب المسيحية في الشرق» في المجلد السابع من سلسلة «آداب الشرق»، وسعى بعد ذلك إلى وصف مجموعة المخطوطات الشرقية في مكتبة مدينة «برسلو» في فهرس خاص عام 1903. وفضل الشيء نفسه في الأعوام المقبلة بالنسبة إلى مجموعة المخطوطات الشرقية في مكتبة هامبورغ، وفي عام 1903 استدعي ليحتل مقعد الأستاذية في كونيسبرغ، وهناك ألف أكثر أعماله أصالة وأجبتها إلى نفسه «موجز قواعد اللغات السامية المقارنة».

وفي خريف 1925 أحيل بروكلمان على التقاعد وانتقل في ربيع 1927 إلى هاله ثانية لمواصلة العمل على كتابة تاريخ الأدب العربي، وفي 1942 استطاع بروكلمان إصدار ملحق ثالث عالج فيه تاريخ الأدب العربي الحديث من عام 1882 (عام الاحتلال البريطاني لمصر) وكما فعل في المؤلف الأصلي والمحقق فقد احتفظ في الملحق الثالث أيضاً بعرض لسير المؤلفين وزاد بأن قدم معلومات تفصيلية، وسر قبل وفاته حين علم أن القسم الثقافي لجامعة الدول العربية قرر نشر الترجمة العربية لتاريخ الأدب العربي.

للتعرف على الخلفية السياسية الثقافية للأدب العربي الحديث لم يهتم بروكلمان بدراسة الإسلام بتعمق فحسب، بل راح يدرس تاريخه بالتعمق ذاته أيضاً. ويعود اهتمامه بالأبحاث الإسلامية إلى سنوات دراسته في ستراسبورغ. فمن عام 1895 حتى عام 1914 كان يكتب عن أحدث المؤلفات في التاريخ الإسلامي في التقارير السنوية لعلوم التاريخ، وفي عام 1910 قدم المجلد الثالث لتاريخ العالم الذي أصدره يوليوس فون بفلوك - هارتونغ، عرضاً لتاريخ الإسلام منذ بدايته حتى زمن بروكلمان، وهذا العمل ظهر في صورته الحالية في ما يسمى بكتاب تاريخ الشعوب والدول الإسلامية عام 1939، وقبل ذلك في عام 1936 كانت له تصحيحات على كتاب «عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري» المطبوع في دار الكتب المصرية.

نبذة عن كارل بروكلمان

عدي قاقيش

»

اقتصر الاستشراق في بدايته على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم شمل دراسة المجتمع الشرقي بأكمله، بأدابه ولغاته وتقاليده، والمستشرقون هم علماء من الغرب اهتموا بدراسة الإسلام، وديانات الشرق ولغاته وأدابه، أدى ازدهار الإسلام والمسيحية إلى نشوء خلاف حضاري بين الشرق والغرب، فكان المسيحيون يرون المسلمين أعداءهم الذين يؤثرون على وجودهم، فعمل الأوروبيون على معرفة الحضارات الشرقية بعد العالم الإسلامي، فأرسلوا المستشرقين والمبشرين بواسطة الحملات الاستعمارية والاستكشافية، وميزوا بين الحضارات الكتابية المثقفة في الشرق وغير الكتابية في أفريقيا والأمريكيتين.

«

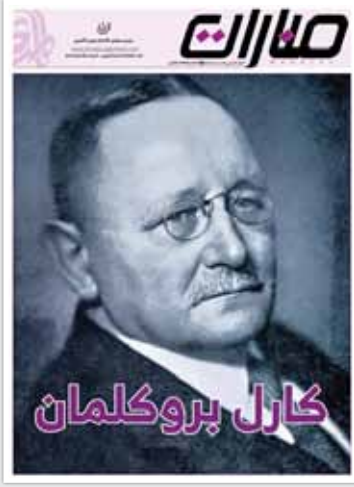


إلى عدة جمعيات علمية في آسيا. كما أهتم بروكلمان باللغة التركية إلى جانب اللغات السامية، فدرس كتاب «ديوان الترك لمحمود الكشغري» والمنشور في اسطنبول في الحرب العالمية الأولى، كتب عن أبنية الفعل فيها، ولهجات الشعوب التركية في العصور الوسطى، والشعر الشعبي التركي القديم، والأمثال الشعبية والحكم الواردة في الكتاب، ورسم الكلمات التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من رسمها بالحروف العربية، لكي يتم النطق بالكلمات نطقاً صحيحاً، جمع كارل بروكلمان هذه الدراسات في كتاب «كنز اللغة التركية الوسطى تبعاً لديوان لغات الترك لمحمود الكشغري»، ونشر بمساعدة الأكاديمية الهنغارية للعلوم عام ١٩٥١م، ودرس كتاب تاريخ اللغات التركية المكتوبة، وألف على إثره كتاب «نحو اللغة التركية الشرقية الوارد في اللغات المكتوبة الإسلامية في آسيا الوسطى»، وتحدث فيه عن تاريخ النطق ونظم وصرف اللهجات التي استعملتها قبائل الترك منذ دخولها للإسلام في القرن العاشر حتى سقوط الدولة العثمانية ونشر عام ١٩٥٤م. ويعد بروكلمان أهم وأبرز المستشرقين الألمان؛ لعمله الكبير في كتابه «تاريخ الأدب العربي»، وذكر فيه تاريخ الكتابة العربية عبر العصور، وفي جميع الفنون من القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجري، وقسم الكتابة العربية إلى عصور وحقب، وفي كل عصر الفنون التأليفية المختلفة في الدول والنواحي والبلدان، تليها تراجم المؤلفين لكل فن ووضع عناوين ما ألفوه، وذكر أماكن المخطوطات من تلك المؤلفات ووصفها، وقد استفاد من الأدبيات التي نشرها الألمان مثل «كشف الظنون لحاجي خليفة، و«الفهرست لابن النديم» [٣]، كما اهتم بدراسة التاريخ

الإسلامي، حيث ألف كتابه المشهور «تاريخ الشعوب الإسلامية»، والذي ترجمه منير البعلبكي ونبيه أمين فارس إلى اللغة العربية. [٤] مؤلفات كارل بروكلمان اهتم كارل بروكلمان بدراسة التاريخ الإسلامي والأدب العربي واللغة العربية واللغات الشرقية واليونانية واللاتينية وكذلك اللغة التركية، وبرع في لغات تلك الآداب ما جعله يتميز في مؤلفاته حول هذه الآداب، وكان السبب الرئيس من وراء خوضه في اللغات السامية والشرقية واللغات القديمة حبه في أن يكون مبشراً دينياً، ومن مؤلفاته ما يأتي: [٣] رسالة دكتوراه في العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري ١٨٩٠م. رسالة التأهيل للتدريس بعنوان: «عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي: تلقيح مفهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار» بحث في هذا الكتاب عام ١٨٩٣م. ألف كتاب تاريخ الأدب العربي، نشر في خمس مجلدات: المجلد الأول عام ١٨٩٨م، والثاني ١٩٠٢م، والثالث ١٩٣٧م، والرابع ١٩٣٨م، والخامس ١٩٤٢م. كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية عام ١٩٣٩م. كتاب نحو السريانية وأدائها عام ١٨٩٩م. كتاب المعجم السرياني عام ١٩٢٨م. كتاب النحو العربي عام ١٩٤١م. كتاب كنز اللغة التركية الوسطى تبعاً لديوان لغات الترك لمحمود الكشغري عام ١٩٥١م. كتاب نحو اللغة التركية الشرقية الوارد في اللغات المكتوبة الإسلامية في آسيا الوسطى عام ١٩٥٤م. كتاب علم اللغات السامية عام ١٩٠٧م. كتاب النحو المقارن للغات السامية عام ١٩١٣م. حقق في كتاب الجوزي الوقفا في فضائل المصطفى عن مخطوطة ليدن عام ١٨٩٥م. حقق في رسالة في لحن العامة للكسائي ١٨٩٨م.

نبذة عن كارل بروكلمان: ولد كارل بروكلمان في مدينة روستوك في ١٧ سبتمبر ١٨٦٨م - وتوفي ٦ مايو ١٩٥٦م، كان والده تاجرًا بسلع المستعمرات، وكانت أمه كما وصفها في مجلة أوريغيس «سيدة موهوبة روحياً، ومنها ورثت ميولي العلمية»، وهي من فتحت له آفاق الأدب الألماني، يُعد بروكلمان مستشرق ألماني وأكبر باحث عرفته الجامعات الأوروبية في النصف الأول من القرن العشرين، بمجال تاريخ التراث العربي والدراسات السامية، كما حصل كارل بروكلمان على الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ في عام ١٨٩٠، عمل أستاذاً جامعياً في جامعات برلين وبرسلاو، ونشر له كتب مثل: نحو السريانية وأدائها ١٨٩٩م، والمعجم السرياني ١٩٢٨م، وكتاب تاريخ الأدب العربي ١٨٩٨-١٩٠٢م.

بدأ بروكلمان دراسة اللغة العربية في المرحلة الثانوية، وكانت أمنيته العيش وراء البحار وأن يعمل طبيباً على ظهر سفينة، أو مبشراً دينياً، أو ترجماناً، ولهذا كان يحضر دروس الأستاذ نجر معلم اللغة العربية في مدرسته الثانوية، كما أتقن العبرية، وبدأ يدرس الآرامية الكتابية، والسريانية، وهو لا يزال في الثانوية، ودرس كارل بروكلمان في المرحلة الجامعية اللغات الشرقية بالإضافة إلى اللغات الكلاسيكية «اللاتينية واليونانية»، وتعلم على يدي المستشرق ثيودور نولدك وفيشر، حيث كلفه نولدك بدراسة عن العلاقة بين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري وكتاب ابن الأثير الكامل في التاريخ، وبذلك حصل على الدكتوراه الأولى عام ١٨٩٠م، وانتخب كارل بروكلمان في مجاميع: بودابست ودمشق وبون وبرلين وليبزيغ إضافة



manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

عزى ليرم

مكي

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

مَنَارَات

طبعت بمطابع مؤسسة مكي للإعلام
والثقافة والفنون

تاريخ الأدب العربي كما رواه كارل بروكلمان

بنان شكارنة



”

ولد كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦) في مدينة روستوك في ألمانيا. درس في جامعة ستراسبورغ. تعلم اللغتين اليونانية واللاتينية قبل دخوله الجامعة، وأثناء دراسته الجامعية درس كارل بروكلمان اللغات الشرقية، واهتم بالعربية والعبرية والسريانية والتركية والفارسية. حصل كارل بروكلمان على دكتوراه من جامعة ستراسبورغ عن أطروحة بعنوان "علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري". حقق ديوان لبيد بن ربيعة وترجم أشعاره ودرسها في العام الأول لحصوله على الدكتوراه. ورحل كارل بروكلمان إلى تركيا للاطلاع على مخطوطات كتاب "طبقات ابن سعد" في مكتبات إسطنبول.

”

كما أعد كارل بروكلمان العديد من الفهارس للمخطوطات العربية والفارسية والقبطية والتركية والسريانية والحشبية في جامعتي فروتسواف في بولندا وهامبورغ في ألمانيا. وهذه النقطة تشير إلى أن البحث والجدد الذي قضاه في هذه المخطوطات سيحول إلى كتاب "تاريخ الأدب العربي" الذي نعرض له هنا.

يقول جواد علي تعليقاً على هذا الكتاب: «تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان مرجع مهم لكل باحث في تاريخ الحركة الفكرية عند العرب منذ صدر الإسلام إلى أيامنا الحاضرة. ضم وجزراً مركزاً لسير العلماء والأدباء، وحوى أسماء أكثر المؤلفات المطبوعة والمخطوطة وأسماء مظانها وأماكن وجودها إذا كانت مخطوطة».

صحيح أن الكتاب يحمل عنوان التاريخ، لكنه ليس تاريخاً، بل هو فهرس لكل الأعلام في مختلف العلوم، مع معلومات دقيقة مختصرة. يشير حسين مؤنس إلى فضل كارل بروكلمان في عمله هذا عبر ملاحظتين، الأولى أن الرجل شرع في عمله عندما كانت غالبية الكتب العظمى لا تزال مخطوطة. والثانية أن كارل بروكلمان يؤرخ للأدب العربي في وقت لم يوجد فيه أي تاريخ يتناول ذلك الأدب.

قسّم كارل بروكلمان كتابه إلى قسمين كبيرين، الأول هو: «أدب الأمة العربية من أوليته إلى سقوط الدولة الأموية»، وشمل مجموعة من الأبواب هي: الأدب العربي الجاهلي، عصر الرسول والخلفاء الراشدين، عصر الأمويين، عصر الأدب الإسلامي العربي. أما القسم الثاني فحمل عنوان «عصور الأدب الإسلامي العربي»، وأبوابه هي الآتية: عصر ازدهار الأدب أيام العباسيين في العراق من ٧٥٠ إلى ١٠٠٠م، عصر الازدهار الثاني من سنة ١٠٠٠ حتى سقوط بغداد سنة ١٢٥٨، ثم الأدب العربي خلال عصور سيادة المغول والترك إلى الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧، والأدب العربي في العصر التركي إلى منتصف القرن التاسع عشر، ثم أدب النهضة والعصر الحديث.

أحيل كارل بروكلمان سنة ١٩٤٥ على التقاعد من كرسي استاذية اللغات الشرقية في جامعة فروتسواف، واضطر إلى النزوح عنها بعد أن ضمت إلى بولندا، بعد دخول الجيش السوفيتي، وانقطع راتبه التقاعدي. لكنه بعد انتقاله إلى مدينة هاله الألمانية، سعى رئيس جامعتها لكي يتولى مكتبة «الجمعية الألمانية للمستشرقين»، ليحصل بذلك على مورد عيش مؤقت. ويروي كامل عباد في مقال له، نشر في مجلة «المجمع العلمي العربي»، أن كارل بروكلمان حافظ على تراث الشرق من الضياع بعد الاحتلال السوفيتي لمدينة هاله، حيث أشرف على نقل الكتب من مخابئها إلى مقر الجمعية. وظل يعيش حياة الكفاف إلى أن حصل على كرسي أستاذ اللغة التركية، في جامعة مارتن لوتر في هاله.

في مقال نشرته مجلته «فكر وفن»، وهي مجلة ألمانية محتجبة كانت تصدر باللغة العربية، قال الباحث يوهان فوك: «لم يكن من طبع كارل بروكلمان أن يثير ضجة كبيرة حول نفسه وأعماله. فعندما احتفلت به جامعة خاله علم ١٩٤٨ بعيد ميلاده الثمانين، وذكرت في تهنئتها له جليل أعماله في خدمة الاستشراق، أجاب مذكراً الحاضرين أن مصير جميع الأبحاث العلمية أن يتفوق عليها تقدم المعرفة العلمية، وقال إن العادة هي أنه بعد خمسين عاماً على وفاة الباحث، يصبح ما كان صحيحاً ثابتاً من أبحاثه تراثاً عاماً للبحث العلمي، بينما تذهب أخطاؤه ضحية النسيان».

